مجلة أبعاد مجلد 10، العدد 01 (خ)، 2023
ISSN: 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

الزخرفة الرمزية في الفن الإسلامي

The Symbolic Decoration in Islamic Art

عمر بلوط OMAR BELLOUT *
آثار وفنون إسلامية
جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري- قسنطينة (الجزائر)
omar.bellout@univ-constantine2.dz

****

تاريخ الإرسال: 2022/06/15 | تاريخ القبول: 2023/05/01 | تاريخ النشر: 2023/05/05

ملخص: يعتبر الفن الإسلامي وليد بيئة دينية وإجتماعية ظهرت بظهور الدين الإسلامي، ويتميز بخصائص متعددة جعلته منفردا عن سائر الفنون الأخرى، كمسألة التجريد، وكراهية تصوير الآدمي والحيواني، التنوع والتعدد، وقد أستعمل الفنان المسلم الحرف العربي بمختلف أشكاله وأنواعه لتزيين موضوعاته، وأدخل بعضا من المواضيع الرمزية، وخاصة الهندسية والفلكية كالنجوم والأهلة وراحة اليد، مع إضافة بعض الألوان، والتي كانت تستخدم إستخداما رمزيا، أو لمحاكاة النموذج الأصلي وإبراز طبيعته وحجمه، بالإضافة الى تصوير الواقع بذاته، وكل هذه العناصر تندرج في فلك الزخرفة والفن الإسلامي وما تحمله من رمزية خاصة على التحف والآثار الثابتة أو المنقولة.

الكلمات المفتاحية: الفن؛ الزخرفة؛ الرمزية؛ المميزات؛ الآثار الإسلامية.

Abstract: Islamic art is considered as the result of a religious and social environment that appeared with the emergence of the Islamic religion, it is distinguished by multiple characteristics that made it unique from all other arts, such as the issue of abstraction, the hate of figuring humans and animals, diversity and plurality. In fact, Muslim artist used the various forms of Arabic letter to decorate this themes, and introduced some symbolic themes, especially geometric and astronomical themes such as stars, crescents and forehand with the addition of some colors that were used symbolically, or in order to simulate the original model and highlight its nature and size and representation of reality by itself. All of these elements fall into the sphere of Islamic decoration and art and the special symbolism it carries on bibelots and immovable or movable relics.

Keywords: art; decoration; symbolism; characteristics; Islamic relics.

* المؤلف المُرسل: omar.bellout@univ-constantine2.dz

مقدمة:

تعتبر الفنون القلب النابض في حياة الشعوب قديما وحديثا، وهي المرآة التي تعكس تكوينها الداخلي وتركيباتها الوجدانية العاطفية، فقد كان الفن على مر العصور من أصدق وسائل التعبير عن حياة الأمم ومقياسا لدرجة وعيها ورقيها وتحضرها. ولهذا، فإن الفنون الإسلامية من جهة وليدة الرؤية الكونية للحقيقة والحياة في آن واحد، و من جهة أخرى مظهر هام من مظاهر الحياة في المجتمع الإسلامي. (سعيد، ح ، 2001، ص07).

لقد إختلف المختصون حول تعريف مصطلح الفن، ولكن، حسب إطلاعنا، فإن أبسط هذه التعاريف هي ما تجعل الفنان يخرج من عالم الخيال إلى عالم الحس والمحسوس والواقع، وفق مهارات وطرق مختلفة تختلف باختلاف الفرد والزمان والمكان (عطية، م ، 1997، ص 09).

وهو ما يجعلنا نؤكد على أنّ الفن هو تعبير داخلي في النفس يحدث الإعجاب والدهشة والإبهار ممزوجا بالعاطفة والشعور بالجمال، عند تحويل الإحساس بالشيء إلى موضوع جمالي (عز الدين، إ ، 1974، ص10).

وهو ما يدفعنا للبحث في هذا المقال عن إشكاليات متعلقة بالفن، في صلاحيته من الناحية النفسية الداخلية والناحية الواقعية وفق التساؤل التالي: كيف يمكن التعبير عن الفن الإسلامي؟ هل الرمزية كافية للتعبير عن الفن الداخلي والخارجي عند المسلمين؟ وما هي المواضيع الرمزية التي عبر عنها الفن الإسلامي من خلال ما وجد على الآثار على الإسلامية؟

إنّ تحليل هذه الإشكالية يستدعي العودة إلى النصوص الأصلية في إبراز الإطار العام للفن الاسلامي وأحقيته الرمزية للتعبير عن الفن بشكل واضح ودقيق.

1. المفهوم العام للفن الإسلامي:

يعتبر الفن الإسلامي أطول الفنون البشرية عمرا، وأوسعها إنتشارا، بإعتبار اتساع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية من جهة، ودخول أجناس وعرقيات متعددة في دين الإسلام من جهة أخرى.

ونشير إلى أن الفن الإسلامي يتميز بخصائص متعددة جعلته متفردا عن سائر الفنون الأخرى، ولعل أبرز هذه الخصائص نجد مسألة التجريد، وهي محاولة الفنان المسلم

إظهار ما هو غير مرئي، ومحاولة الإحساس بالقوانين غير المرئية التي تحكم الوجود، أو بعبارة أخرى محاولة التحرر من تقليد الطبيعة في مجالها اللانهائي والأزلي. (عاشور، س، دت، ص446).

1.1 مميزات الفن الإسلامي:

1.1.1 كراهية تصوير الآدمي والحيواني:

لعل من أبرز ميزات الفن الإسلامي بصفة عامة هو ما يذهب إليه الباحث خالد حسين إلى أنّ هناك كراهية تجسيد الكائنات الحية لإعتبارات وخلفيات دينية أهمها كراهية الدين الإسلامي نفسه لتصوير وتجسيد الكائنات الحيوانية والآدمية (حسين، خ، دت، ص42).

هذه الإشارة التي أكدها خالد حسين تحتاج إلى البحث في المسائل الفقهية التي تصل إلى التحريم في عملية التجسيد، وهو ما يؤكد أنّ موضوع التجسيد في الفقه والدين الإسلاميين، قد حسم الأمر سواء بالكراهية أم بالتحريم .

2.1.1 التنوع والتعدد:

أخذ الفنان المسلم من الطبيعة المواضيع الزخرفية والفنية النباتية، وأضاف الهندسة وعناصرها في الزخرفة. وتتكون الزخارف الهندسية تارة من الخطوط بأنواعها المختلفة المستقيمة والمنكسرة والمنحنية والمظفرة، وتارة أخرى تتكون من الأشكال المساحية كالمربع والمستطيل والمعين والمثلث والدوائر والأشكال البيضاوية. أما الأشكال المضلعة فتتضمن الأشكال السداسية والمثمنة والمتعددة الأضلاع والأطباق النجمية (عبد العزيز، ل، 1990، ص255).

وهنا تبرز ظاهرة التماثل في الفن الإسلامي الذي يعتبر من أهم القواعد، وهو تكرار العنصر الزخرفي في إتجاهين متقابلين حول خط المحور الرأسي أو الأفقي، فأساس الرسم الهندسي هو التماثل النصفي المحوري لنصف وحدة العنصر الزخرفي المرسوم ليظهر التصميم مكتمل.

3.1.1 إستعمال الكتابة والخط العربي:

لقد أستعمل الفنان المسلم الحرف العربي بمختلف أشكاله وأنواعه لتزيين موضوعاته، وأدخل بعضا من المواضيع الرمزية، وأستطاع دمجها مع بعضها البعض، أو حتى منفردة وهو ما تناولته الباحثة داليا أحمد فؤاد، والتي ترى أن الخط العربي بمختلف أنواعه

هو أحد أهم فروع الفن الإسلامي الواقعي، والذي يحمل وظيفتين: الوظيفة الوظيفية وهي الكتابة ومن أجل التعلم وحفظ العلم بين ضفتي المؤلفات، والوظيفة الجمالية والرمزية ممثلة في الدور الجمالي والتزييني والفني والزخرفي (فؤاد، د، 2000، ص110).

وقد كان لإهتمام الفنانين المسلمين بالخط نتيجة للصلة الوثيقة بين الخط والدين، فقد كتب به القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة من جهة، وكراهة الدين الاسلامي تصوير وتجسيد الكائنات الحية من جهة أخرى.

لقد أزدهر الخط العربي وصار فنا جميلا أحتل مكان الصدارة بين الفنون الإسلامية، حيث أصبحت الكتابة العربية أولى الكتابات والخطوط تناسقا، وأبدعها زخرفة، وقد وضع لها الخطاط المسلم قواعد وطرق وأساليب لتشكيلها وكتابة حروفها وكلماتها، وقد روعي في ذلك أن تؤدي صور الحروف حسنا من العين شبيها بحسن مخارج اللفظ العذب عند السمع.

لقد أستعمل الخط العربي كعنصر هام من فروع الفن الاسلامي، لما تتميز به حروفه من جمال ومرونة وليونة وقابلية في التشابك والتداخل، وتعدّدت أنواعها ولعل أبرزها الكوفي والنسخي والمغربي والفارسي والأندلسي وغيرها ، (زكي، ص، 1983، ص114)

4.1.1 الخوف من الفراغ:

نظرا للإعتقاد السائد بأن الفراغ يسكنه الشيطان، ووجب عليه ملء هذا الفراغ، فقد أعتمد الفنان المسلم على ظاهرة التكرار التي تعتبر قانونا أساسيا في الفن الإسلامي، بمعنى تكرار موضوع فني أو زخرفي، بطرق متنوعة أفقية أو عمودية، مائلة أو دائرية أو منحنية، مما يؤدي إلى عدم القدرة على معرفة بداية أو نهاية المفردات الزخرفية، أما وظيفة التكرار فهي للتأكيد على شكل أو عنصر، لأنّ التكرار يحدث إثارة عند الإنسان سواء بالشكل أو بالكلمة ويفيد بربط الأشكال بالرؤية البصرية، فيحدث نوعا من الوحدة في بناء العمل الفني والتي ترمز في غالب الأحيان إلى الديمومة والتي لا تكون إلا لله عز وجل. (بدرة، م، 2012، ص 40).

أما الزخارف الهندسية فتتكون من الخطوط بأنواعها المختلفة المستقيمة والمنكسرة والمنحنية والمظفرة، كما تتكون من الأشكال المساحية كالمربع والمستطيل والمعين والمثلث والدوائر والأشكال البيضاوية.أما الأشكال المضلعة فتتضمن الأشكال السداسية والمثمنة والمتعددة الأضلاع والأطباق النجمية، وهو ذهب الى الأستاذ لعرج محمود عبد العزيز عندما تناول المواضيع الفنية والزخرفية ذات الشكل الهندسي والموجودة على الآثار

الفنية التي تعود للفترة المرينية بضواحي مدينة تلمسان. (عبد العزيز، ل، 1990، ص255).

2.1 ميزات أخرى:

لا يقل الفن الإسلامي أهمية عما سبق كالوحدة النابعة من عقيدة التوحيد عن عامة المسلمين، وظاهرة الوظيفية التي تهدف إلى جعل الفن الإسلامي يحقق مبدأ الجمال الفني والذوق الراقي، مع الوظيفة التي يؤديها الفن. (لوبون، غ، 1964، ص500).

2. المفهوم العام للزخرفة في الفن الإسلامي:

أما من حيث التعريف اللغوي، فإن زخرفة الشيء (بفتح الزاي وسكون الخاء): هي تزينه وتنميقه، وزخرف القول: حسّنه، والزّخرف (بتشديد الزاي وضمها)- جمع زخارف- الذهب، تمام الحسن، وكل مموه مزور، والزخرف من الأرض ألوان نباتها، ومن الكلام المرقش بالكذب ومن الحشرات جنس من نصفيات الأجنحة تعلو فوق الماء، ومن البيت متاعه (عاصم، ر، 2000، ص130).

أما الزخرفة إصطلاحا فهي تلك الرسوم التي تزين مختلف المنجزات الفنية، كالكتب والآثار الثابتة من عمائر وأبنية مختلفة، أو تزين التحف المنقولة المصنوعة من مواد مختلفة كالفخار والخزف والمنسوجات والخشب والعاج والمعادن (أبو صالح، أ، 1967، ص111).

وهي فرع من علوم الفنون التي تبحث في فلسفة التجريد والنسب والتناسب، تتناول التكوين والفراغ والكتلة واللون والخط، وقد إنحصرت عناصر الزخرفة الإسلامية عامة في ثلاثة أنواع رئيسية هي: الزخارف النباتية، والزخارف الهندسية والزخارف الكتابية، (عاصم، ر،2000، ص131). وقد تكون هذه الزخارف في حد ذاتها هندسية أو نباتية أو كتابية وتحمل الطابع الرمزي في الوقت نفسه.

3. مفهوم الرمزية في الفن الإسلامي:

الحديث عن الرمز هو الحديث عن كل ما أشرت إليه بإشارة سواء بالإيماء أو باليد أو بتحريك الرأس أو غير ذلك، وتعني القصد إلى شيء غير ظاهر وهو ما ذهبت إليه أغلب القواميس العربية، ومنها القاموس العربي المحيط. (القاموس العربي المصور، دت، ص339.) أما في مجال الفن، فالرمز هو تصوير غير مباشر للأشياء، وعدم وصفها وصفا مباشرا سواء عن طريق إخفائها أو تلميحا لها (هاورز، أ، 1968، ص56).

يصل الفنان من خلال الرمزية إلى عالم الأحلام والتعبير عن مشاعره والكشف عن خلفيات عمله، وبالتالي التعبير عما يجول في خياله من عواطف ووجدان وأحاسيس. (عبد المنعم، ر، 1908، ص348)، لقد كان الفن في بدايته الأولى نفعيا، بإعتباره يلبي حاجيات إجتماعية وحياتية يومية، فقد كان يمثل أداة للعيش والعمل. (الجادر، س، 1998، ص06).

1.3 أهم العناصر الرمزية في الفن الاسلامي:

1.1.3 النجمة:

تعتبر النجوم بمختلف أشكالها، من أبرز الرموز التي شاع إستخدامها في الفن الإسلامي عبر مختلف فتراته، وتختلف تفسيرات ومعاني النجوم حسب عدد رؤوسها وأماكن تواجدها فقد تكون خماسية، أو سداسية، أو ثمانية، أو ذات عشرة رؤوس وحتى ذات إثنا عشرة رأسا.

وفي المصطلح الفني فهي تلك التراكيب الهندسية المتعددة الأشكال والمجمعة على هيئة نجوم، (شريفة، ط، 2008، ص329)، لكي تدخل الأشكال النجمية ضمن الزخارف الهندسية المركّبة، وتعرف على أنّها أشكال مركزية إشعاعية وأضلاعها تنطلق على هيئة شعاع من المركز نحو المحيط. والآن سنتطرق إلى أهمّها:

2.1.3 الزخرفة بالنجمة الخماسية:

إستخدمت في الزخرفة الإسلامية لها خمسة رؤوس، وهي ذات طابع هندسي قد استعملت كرمز للدلالة على الاتجاهات الخمسة وهي الجنوب، الشمال، الشرق، الغرب والمركز،(Arseven ,S.D ,p25) كما ترمز أيضا للعناصر المكونة للطبيعة وهي الماء، النار، الخشب، المعدن، الحجر، كما لاحظنا أيضا تطابق العدد خمسة مع الخطوط الأفقية في كتابة لفظة ما شاء الله.

3.1.3 الزخرفة بالنجمة السداسية:

تنتج من تشابك مثلثين متساويين الأضلاع متقابلين، وهذا تحوير لما كان سائدا في العقائد القديمة، حيث كانوا يعتبرون أن الكون مكون من نصفي البيضة، النصف الأعلى يمثل السماء والنصف الأسفل يمثل الأرض، ويتطور شكل نصف البيضة لكي يصبح مثلثا وهو رمز الإنسجام والتكامل والتوازن، ومن تطابق نصفي للكون تتشكل النجمة السداسية، وهكذا تتحول إلى نجمة تعبر عن تداخل السماء والأرض لتشكل

الحياة، وبالتالي الرمز إلى وحدانية الوجود كما يقول عفيف البهنسي عندما تحدث عن فن الرقش العربي مبرزا أهمية الزخرفة بالنجوم. (عفيف، ب، 1989 ص58).

عرفت النجمة السداسية عند المسلمين وكان إستعمالها في بعض الأحيان بإسم الرسول صلى الله عليه وسلم، أما عند اليهود فيرون أن المثلث الأول هو رمز للوجود اليهودي، أما المثلث الثاني المقلوب، فهو رمز الوجود الإنساني. (جمعة، إ، 2011، ص98).

4.1.3 الزخرفة بالنجمة الثمانية:

وهي أكثر هيئات النجوم تمثيلا في الزخرفة الهندسية الإسلامية، وقد فسر محمد إقبال الفن المتواجد عند المسلمين على منوال هذه النجمة وأعطى لها تفسيرا باطنيا، فهي تتكون من مربعين متداخلين:

فالمربع الأول يعبّر عن القوى الأربع في الطبيعة، فالضلع الأعلى يمثل الهواء، الأدنى يمثل التراب، والضلع الأيمن يمثل الماء، والأيسر يمثل النار (عبد الناصر، ي، 2006، ص 108-109).

أما المربع الثاني فيعبّر عن الجهات الأربع: الشرق والغرب والشمال والجنوب، وتداخل هذين المربعين يعني أن قوى الله فوق قوى الطبيعة وهي منتشرة في جميع أنحاء الوجود (عبد الناصر، ي، 2006، ص 109).

5.1.3 الزخرفة بالهلال:

ومن العناصر الفلكية التي تأثر بها الفنان المسلم عبر مختلف العصور نجد الهلال، فقد اتخذته العديد من الدول الإسلامية في وقتنا الحالي شعارا ورمزا على راياتها وأعلامها، وقد شاع استخدام الهلال في فنون المسلمين لمكانته في نفوسهم، فهو وسيلة للتقويم الهجري، يرمز إلى النور إعادة الحياة (Moreau, J , 1976, p.134)، خاصة مع ظهور الدين الإسلامي الذي أخرج الناس من ظلمات الجهل إلى النور.

6.1.3 الزخرفة براحة اليد:

ومن بين أكثر الرموز المستعملة في الفن الإسلامي نجد راحة اليد (الخامسة)، إذ يعتبر اليد من بين العناصر الرمزية التي نقشت على جدران المباني و في واجهات المداخل و الأبواب، بالإضافة إلى ظهورها في التحف الفنية على اختلاف أشكالها.

تعرف اليد عند عامة المسلمين بإسم الخامسة نسبة إلى الأصابع الخمسة، وهي أحد أهم عناصر الزخرفة الرمزية عندهم، حيث لا يكاد يخلو أي مدخل بيت أو ممتلك أو شيء ذا قيمة مادية أو معنوية إلا وتعلوه راحة اليد، وهو يرمز حسب الإعتقاد للقدرة على إبعاد أذى الحسد والعين الشريرة ودفع السوء لمن يقتحم البيت على ساكنيه، ورد كل ما هو قبيح، تستخدم في بعض مناطق العالم الاسلامي كطلسم وتميمة لإبعاد الحظ السيئ وللحماية، كانت النساء في بلاد المغرب توشمن جباههن بشكل اليد (Arseven ,sd, p 31-32).

ويرى بعض الباحثين أن اليد ترمز إلى الإخلاص والقوة والعدالة، بينما يرى فريق آخر أنها ترمز إلى أهل البيت الخمس، أو إلى الأركان الخمسة للإسلام وهي الشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والحج..(Gabus, J, sd, p39).

7.1.3 الزخرفة بالألوان ورمزيتها:

وما يميز الفن الإسلامي أيضا هو إستعمال الألوان في الزخرفة، ويتم هذا الأسلوب أوّلا بمعالجة الأرضية قبل تلوينها، وذلك بطلاء سطحها بلون أحادي ثم تترك لتجف في الهواء، بعد ذلك يقوم الفنان برسم المواضيع الزخرفية بواسطة الفرشاة بإستعمال الألوان المرغوب فيها، وللحفاظ عليها من المؤثرات الخارجية الطبيعية كالرطوبة والحرارة يطليها بمادة خاصة (عبد العزيز، م، 1974، ص165).

إن الألوان هي من الأشياء التي تزيد حياة الإنسان جمالا، فهو يعبر عن مشاعر الإنسان سواء بالفرح أو الحزن، فهذا الفن كانت له مكانة هامة لدى الفنان المسلم في شتى مناطق واصقاع العالم الاسلامي، فجسدها في مختلف منتجاته الفنية وعمارته، فمصطلح اللون ذكر في العديد من آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿ مَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (النحل، 13).

ومن أهم تجليات بروز هذه الألوان في الزخرفة خاصة الهندسية منها، فقد كان لها حضور معتبر في جماليتها، فالأطباق النجمية والخطوط المائلة والدوائر والمربعات والمثلثات والمعينات وغيرها من الأشكال الهندسية، إحتوت على العديد من الألوان في النموذج الواحد، وهناك ألوان أساسية تتولد منها ألوان ثانوية عن طريق المزج والتركيب بنسب مختلفة تزداد أو تنقص، وفي زيادتها يحدث التضاد والتجاور والتوافق في دائرة الألوان. (عبد القادر، د، 2010، ص 720).

وتعد الألوان من أكثر الأشياء جمالا وخصوبة في حياة بني البشر، ومنها أثرى الإنسان حياته وأضفى عليها من بديع الجمال. واللون يمارس سلطته التعبيرية علي الإنسان، لأن اللون يصدر نغمات بصرية لإثارة مشاعر الإنسان إما بالفرح أو الحزن. أما عن كيفية الحصول على الألوان أو دراسة خلط الألوان فيمكن حصر المكونات الأساسية في الأزرق والأحمر والأصفر والأسود، ويتم الخلط كالتالي:

- مقدار من اللون الأحمر ومقدار من اللون الأصفر يعطينا البرتقالي
- مقداران من اللون الأحمر ومقدار من اللون الأصفر يعطينا اللون البرتقالي المحمر.
- مقدار من اللون الأحمر ومقداران من اللون الأصفر يعطينا البرتقالي الاحمر.
- مقدار من اللون الأحمر ومقدار من اللون الأزرق يعطينا اللون البنفسجي.
- مقداران من اللون الأحمر ومقدار من اللون الأزرق يعطينا اللون الأحمر البنفسجي.
- مقداران من اللون الأزرق ومقدار من اللون الأحمر يعطينا اللون الأزرق البنفسجي.
- مقدار من اللون الأزرق ومقدار من اللون الأصفر يعطينا اللون الأخضر.
- مقداران من الأزرق ومقدار من اللون الأصفر يعطيناالون الأزرق المخضر.
- مقدار من اللون الأزرق ومقداران من اللون الأصفر يعطينا اللون الأصفر المخضر (خيرة، ب، 2008، ص360).

وقد كان يستعمل اللون لذاته وقيمته الجمالية، ويستخدم استخداما رمزيا، أو لمحاكاة النموذج وإبراز طبيعته وحجمه في المكان وفي أغلب الأحيان يكون إستعمال اللون بقصد تصوير الواقع بذاته (أبو صالح، أ، 1967، ص105).

8.1.3 الزخرفة باللون الأزرق:

ولعل أبرز الألوان التي شاع إستعمالها عند الفنانين المسلمين نجد اللون الأزرق، والذي يستخرج من نبات النيلة الذي ينمو في إيران وشرق الهند وأواسط آسيا، وأستخدمها المسلمون بكثرة على ألبستهم وخاصة في ألبسة الأمراء وفي زخرفة عمائرهم،(Arseven ,sd, p 98). لذلك فهو رمز للصداقة والحكمة والخلود (محي الدين، ط، 1961، ص172)، أما المتصوفة فقد عرفوا اللون الأزرق بنوعيه الأزرق القاتم والذي يعبر عن الإحسان والخير، واللون الأزرق المائي الذي يعبر عن الحقيقة واليقين (عبد الناصر ،ي، 2006، ص264).

9.1.3 الزخرفة باللون الأحمر:

يعتبر اللون الأحمر من الألوان المفضلة عند الفنان المسلم، وكثر إستعماله في الفنون الإسلامية وصار من الألوان المفضلة عند الفنان المسلم، وهذا ما يفسر كثرة استخدامه في النماذج المتنوعة للمنتجات الفنية سواء الثابتة أو المنقولة(Arseven ,sd, p 98) . نتحصل عليه من إناث حشرة القرمز التي تعيش على أوراق شجر البلوط الدائم الاخضرار، يعتبر هذا اللون من الألوان الحارة لقرابته من لون النار ولون الدم (محي الدين، ط،1961 ، ص173) ورمز النار المشتعلة دلالة على الغضب والقسوة والخطر (محي الدين، ط،1961، ص173).

10.1.3 الزخرفة باللون الأبيض:

ارتبط اللون الأبيض منذ الأزمنة القديمة بالنهار والضوء، وبالتالي بالقوة التي تتبدد الأسود أي الليل والظلام وأصبح لون التطهير والطهارة والنقاء،(عياض أمين ، ا، 2002، ص 18). أستخدم هذا اللون في الفكر الإسلامي كرمز للصفاء والنقاء، لذا نجده لون لباس الإحرام في الحج والعمرة في بيت الله الحرام، وهو لون وجوه المؤمنين في الجنة، لذلك يعتبر رمزا لأصحاب الجنّة، قال الله تعالى: [يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهَهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ[106] وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهَهُمْ فَفِى رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [107]] (سورة آل عمران ، الآية: 106 . 107). وقوله في أية أخرى: [يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأسٍ مِّنْ مَعِينِ[45] بَيْضَآ ءَ لَذَّةً لِّلشَّارِبِينَ[46]] (سورة الصّافات، الآية رقم45 . 46).

ومن الجدير بالذكر أن إحدى رايات الرسول صلى الله عليه وسلم كانت بيضاء اللون (إبراهيم، ج، 2008، ص130) أما عند المتصوفة فاللون الأبيض يوافق الإسلام، (عياض أمين ، ا، 2002، ص 120).

11.1.4 الزخرفة باللون الأسود:

يعد اللون الأسود من الألوان التي لها دلالات رامزة، وقد كان من الألوان التي أقبل الرسول صلى الله عليه وسلم على استعمالها، فهو اللون الذي اتخذه لعمامته، وقد كانت أحد راياته سوداء، أشار بعض العلماء إلى اللون الأسود أنّه كان يرمز إلى الحق والعدالة، ويرمز كذلك إلى السيادة والمجد والشرف (عبد الناصر، ي، 2006، ص87). وحتى غطاء الكعبة المشرفة كان ولازال باللون الأسود.

12.1.3 الزخرفة باللون الأخضر:

من الألوان ذات الاستعمال الكبير لدى الفنانين المسلمين، نجد اللون الأخضر، حيث إستعمله الفنان المسلم في شتى منتجاته المقدسة، فقد وجد على أغلفة المصاحف وفي تزويق الأبواب المقابلة لإتجاه القبلة، كما منع القضاة والمحتسبين من إستعمال هذا اللون في الأماكن التي تدوسها الأرجل بكثرة، كبلاطات الأرضيات في الحمامات العامة والمايضات والكنيفات، والزرابي التي تفرش على الأرض وهذا راجع لرمزية الدينية من جهة ولخصوصيته من جهة أخرى، فهو رمز للجنة، كما يرمز إلى النمو والأمل والحياة والخصوبة، وهو لون يتوافق مع جميع الألوان"

13.1.3 الزخرفة باللون الأصفر:

وآخر الألوان التي إستخدمها الفنان المسلمين على منتوجاته الفنية، نجد اللون الأصفر، وهو أقل الألوان إستخداما مقارنة بالألوان الأخرى، أصله من نبات الزعفران وقشور الرمان، أما رمزيته فهو يمثل الضوء ولو أنّه أقل نصاعة وبهاءا، وهو رمز الشمس والذهب (محي الدين، ط،1961، ص173).

الخاتمة:

كان السؤال الذي حددناه في المقال هو: كيف يمكن التعبير عن الفن الإسلامي؟ هل الرمزية كافية للتعبير عن الفن الداخلي والخارجي عند المسلمين؟ وما هي المواضيع الرمزية التي عبر عنها الفن الإسلامي من خلال ما وجد على الآثار على الإسلامية؟.

والإجابة عنها هي:

1. أن الفن هو تعبير داخلي في النفس يحدث الإعجاب والدهشة والإبهار ممزوجا بالعاطفة والشعور بالجمال، عند تحويل الإحساس بالشيء إلى موضوع جمالي الإسلامي وهو الإنتقال من عالم الخيال إلى عالم الحس والمحسوس والواقع، وفق مهارات وطرق مختلفة تختلف باختلاف الفرد والزمان والمكان. يتمز الفن الإسلامي يتميز بخصائص متعددة جعلته متفردا عن سائر الفنون الأخرى، ولعل أبرز هذه الخصائص مسألة التجريد، وكراهية التصوير، بالإضافة إلى التعدد والتنوع حيث أخد الفنان المسلم من الطبيعة المواضيع الزخرفية والفنية النباتية، وأضاف الهندسة وعناصرها في الزخرفة. كما استعمل الفنان المسلم الخط والكتابة في منتجاته الزخرفية والفنية، وزين بها مختلف لوحاته مستغلا مبدأ الخوف من الفراغ، والذي يعتبر ميزة أساسية من ميزات الفن الإسلامي، لإعتقاده بأن الفراغ يسكنه الشيطان، ووجب عليه ملء هذا الفراغ،

معتمدا على ظاهرة التكرار التي تعتبر قانونا أساسيا في الفن الإسلامي. ولعل كل هذه الميزات نابعة من عقيدة التوحيد عند عامة المسلمين.

2. أما الزخرفة فتبحث في فلسفة التجريد والنسب والتناسب، تتناول التكوين والفراغ والكتلة واللون والخط، وقد إنحصرت عناصر الزخرفة الإسلامية عامة في ثلاثة أنواع رئيسية الزخارف النباتية، والزخارف الهندسية والزخارف الكتابية.

3. أما الرمزية فهي تصوير غير مباشر للأشياء، وعدم وصفها وصفا مباشرا سواء عن طريق إخفائها أو تلميحا لها.

4. من أهم العناصر الرمزية في الفن الإسلامي نجد النجمة والتي تعتبر من أبرز الرموز التي شاع إستخدامها في الفن الإسلامي عبر مختلف فتراته، وتختلف تفسيرات ومعاني النجوم حسب عدد رؤوسها وأماكن تواجدها فقد تكون خماسية، أو سداسية، أو ثمانية، أو ذات عشرة رؤوس وحتى ذات إثنا عشرة رأسا، كما نجد أيضا عنصر الهلال، والزخرفة براحة اليد (الخامسة).

5. وما يميز الرمزية في الزخرفة الاسلامية هو إستعمال الألوان، إذ تعد من أكثر الأشياء جمالا وخصوبة في حياة بني البشر، ومنها أثرى الإنسان حياته وأضفى عليها من بديع الجمال. واللون يمارس سلطته التعبيرية علي الإنسان، لأن اللون يصدر نغمات بصرية لإثارة مشاعر الإنسان إما بالفرح أو الحزن. جمال الألوان يوحي إلى الحياة، لأن الألوان لا توجد إلا في الأماكن المزروعة التي يوجد بها الماء، فهي توحي إلى الماء والغذاء أي ترمز إلى الحياة .

6. كان يستعمل اللون لذاته وقيمته الجمالية، ويُستخدم إستخداما رمزيا، أو لمحاكاة النموذج وإبراز طبيعته وحجمه في المكان، وفي أغلب الأحيان يكون إستعمال اللون بقصد تصوير الواقع بذاته.

وأبرز الألوان إستخداما نجد: اللون الأزرق، واللون الأحمر، واللون الأبيض، واللون الأسود، واللون الأخضر، واللون الأصفر.

الجمال الباطني والذي يزين الصورة الظاهرة على التحفة الفنية أو الأثرية، هو أصل الجمال. لذا يمكن القول أن أعلى مستوى في تأمل الفن نجده عند أولئك الذين ينظرون إلى الفن نضرة باطنية معنوية، وهذا يتجسد خاصة عند الصوفية، حيث نجد أن أغلب أهل الحرف الفنية من مزوقين ومعماريين ونقاشين وخطاطين وغيرهم، كانوا في أغلبهم من أهل الطرق الصوفية.

المصادر والمراجع

- أرنولد، هاورز. (1968)، فلسفة تاريخ الفن، ترجمة رمزي عبده، القاهرة، مصر: الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية.
- إسماعيل، عز الدين. (1974)، الفن والإنسان، القاهرة، مصر: مكتبة غريب.
- الألفي، أبو صالح، (1967)، الفن الإسلامي أصوله، فلسفته، مدارسه، (الطبعة الثانية)، بيروت، لبنان: دار المعارف.
- الدوري، عياض أمين عبد الرحمان. (2002)، دلالات اللون في الفن العربي الإسلامي، بغداد ، العراق: دار الشؤون الثقافية.
- القاموس العربي المصور، مادة: رمز، بيروت، لبنان: دار الراتب الجامعية.
- بن بلة، خيرة. المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007- 2008.
- بهنسي، عفيف. (1989)، معاني النجوم في الرقش العربي من كتاب الفنون والمضامين المشتركة، دمشق، سوريا: دار الفكر.
- جمعة، إبراهيم. (2011)، العناصر الرمزية على المنتجات الفنية في الجزائر في الفترة العثمانية، دراسة أثرية فنية، رسالة ماجيستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر.
- حامد، سعيد. (2001)، الفنون الإسلامية، أصالتها وأهميتها، القاهرة، مصر: دار الشروق.
- حمودة، حسن علي. (1972)، فن الزخرفة، القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- خالد، حسين. الزخرفة في الفنون الاسلامية، بيروت، لبنان: دار البحار للطباعة والنشر.
- داليا، أحمد فؤاد. (2000)، الزخارف الإسلامية والاستفادة منها في التطبيقات، جامعة حلوان، مصر.
- راوية، عبد المنعم. (1908)، الحس الجمالي وتاريخ الفن، بيروت، لبنان: دار النهضة العربية.
- رزق، محمد عاصم. (2000)، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، (الطبعة الأولى)،القاهرة، مصر: مكتبة مدبولي.
- سعاد، محمود الجادر. (1968)، زخرفة الفضة والمخطوطات عند المسلمين، الرياض، المملكة العربية السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وشركة العبيكان للطباعة والنشر.
- سعيد، عبد الفتاح عاشور. دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية، الكويت: منشورات ذات السلاسل.
- صالح، زكي. (1983)، الخط العربي، القاهرة ، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- طالو، محي الدين. (1961)، الرسم واللون، دمشق، سوريا: مكتبة الأطلس.
- طيان، شريفة. (2007)، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر .
- غوستاف، لوبون: (1964)، حضارة العرب، (الطبعة الرابعة)، ترجمة عادل زعيمر، القاهرة، مصر.
- لعرج، عبد العزيز. (1990)، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- محمد، حامد السيد بدرة. (2012)، التوريق في الفن الإسلامي، عمان، الأردن: مطبوعات مؤتمر الفن في الفكر الإسلامي.
- محمد، عطية. (1997)، الفن والحياة، القاهرة، مصر: دار المعارف.

- مرزوق، عبد العزيز. (1974) ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العهد العثماني، القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ياسين، عبد الناصر. (2006)، الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية دراسة في ميثافيزيقا الفن الإسلامي، (الطبعة الأولى)، القاهرة، مصر: زهراء الشرق.
-Arseven, Les arts décoratif Turcs, ,Istanbul, Basimevi, S.D.
-Moreau ., Les grands symboles méditerranéens dans la poterie algérienne, SNED, Alger, 1976